

نفحات القرآن

[57] لقد جاءت الآيات المذكورة أعلاه ضمن تسع آيات في سورة (الطور) ، ووردت في نطاق (11) سؤال على صورة الإستفهام الإستنكاري . وهذه الآيات تضع الإنسان أمام مجموعة من الأسئلة المتسلسلة العجيبة ثم " تسد " طريق الفرار عليه كي يدعن للحق " . وتتابع هذه الأسئلة الأحد عشر ثلاثة أهداف مهمّة هي : إثبات التوحيد ، المعاد ، ورسالة نبي الإسلام ، غير أن " الأساس فيها يتمحور حول توحيد الخالق المعبود . الآية الأولى من الآيات الثلاث التي تقدّمت تقول : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ) . وبعبارة أخرى : إن " كل " إنسان لا شك " في أنّه مخلوق وحادث ولا يخرج من ثلاث حالات : أمّا مخلوق من دون علّة أو هو علّة وجوده أو أن " علّته هو الوجود الأزلي والأبدي وهو الله سبحانه . وبما أن " الإحتمالين الأوّل والثاني لا يتوافقان مع العقل والوجدان فالإحتمال الثالث هو الثابت حتماً ، ولذا ذكر الإحتمالين الأوّل والثاني بصيغة " الإستفهام الإستنكاري " ، وحينما ينفيهما العقل والوجدان ، يثبت الإحتمال الثالث لا محالة . هذا جوهر الإستدلال الشهير بـ (العلّة والمعلول) حيث يعرض في جملتين قصيرتين ومركّزتين ذات معنى واسع . وقد يبرز هنا إحتمال رابع وهو أن يكون الإنسان معلولا لعلّة أخرى وهذه العلّة معلولة لعلّة أخرى وهكذا تستمرّ هذه السلسلة إلى ما لا نهاية . وهذا الإحتمال يبرز لدى الفلاسفة عادةً وليس لعامة الناس ، ولعلّ الآية لم تذكره لهذا السبب . على أيّ حال فإنّ هذا الإحتمال واضح البطلان أيضاً ، لإستحالة (تسلسل العلل والمعلولات) منطقياً ووجداناً ، وسيأتي أيضاً ذلك بإذن